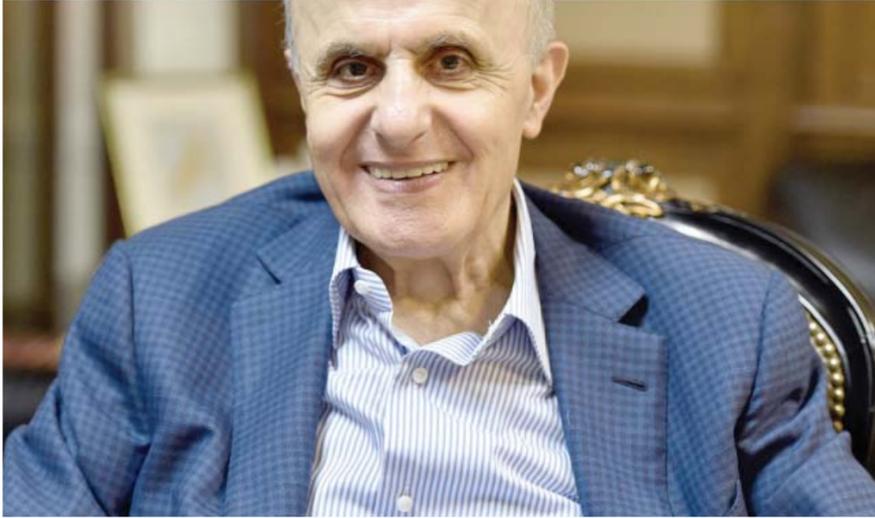


الشيوعي اللبناني بصورته التي تخرج حسن نصرالله

محسن إبراهيم

«سيد» المقاومة الأول وتحولات الشارع



● خياره بالانكفاء يعود إلى إدراكه لتفاصيل مسلسل واضح هدف إلى تصفية رموز حركة السيادة والاستقلال، وكان أحد ضحاياها صديقه جورج حاوي، والضحية الأخرى «ربيبه» سمير قصير.



● اضمحلال «المقاومة الوطنية اللبنانية» التي يعود الفضل بتأسيسها إلى السيد إبراهيم ورفاقه أدى إلى استئثار «حزب الله» بالساحة، ونشوء نمط مقاومة مغاير غلب عليه الطابع الجهادي.

استمرار النزاع الأهلي حرباً عتيقة، لن تقدم سوى المزيد من تفكيك وحدة الأرض والشعب وتدمير مقوماته. ومع توقيع اتفاق الطائف ومخارجه الطائفية لأزمة الكيان اللبناني، عكف محسن إبراهيم على نقد تجربة الحركة الوطنية والبسار في الفكر والممارسة، وانكفأ نحو الداخل التنظيمي عاملاً بجهد فكري قل نظيره على تشريح تجربة اليسار اللبناني والعربي منذ الخمسينات وحتى اليوم.

جمهورية الشيعة في لبنان يعيش ذلك التحول الذي آمن به محسن إبراهيم ذات يوم، ينتقل من الحالة الغريزية في الخطاب الطائفي الضيق، إلى الحالة الوطنية العامة التي لا تميز بين اللبنانيين على أساس أديانهم وأعرافهم. هذا التحول يواجه مقاومة كبيرة من المشروع الإيراني وذبوله في لبنان، تقوم على الترهيب والتحرير والتجيش. وأكثر من ذلك يستهدف فكرة توريث الشارع الشيوعي في صدام مباشر مع الشارع السني والمسيحي. وهو ما عبرت عنه هفافات مبرمجة تم توجيهه الإهانات فيها لكل من السيدة عائشة زوجة النبي محمد، وإلى الصليب المسيحي.

لكن هذا الشارع الشيوعي ذاته، يتنامى فيه خطاب مستجد، تحمله الشخصيات المثقفة ذات الاتجاهات السياسية العديدة، والتي ترفض الهيمنة الإيرانية وعودة الوصاية السورية وسلاح حزب الله واختطاف الدولة.



عائلة محسن إبراهيم سلالة متجذرة من السادة الشيعة في جبل عامل جنوبي لبنان. برز منها العديد من الفقهاء وعلماء الدين، غير أن السيد محسن تأثر بـ«موجة» الفكر القومي وانضم إلى حركة القوميين العرب



● الشارع الشيوعي في لبنان يتنامى فيه خطاب مستجد، تحمله النخب المستقلة التي ترفض الهيمنة الإيرانية وعودة الوصاية السورية واختطاف الدولة.

دعماً لنضال الشعب الفلسطيني، ذهبت بعيداً في تحميل لبنان من الأعباء المسلحة للقضية الفلسطينية فوق ما يحتمل طاقة وعدالة وإنصافاً. مشيراً إلى أن الخطأ الثاني «هو استسهالنا ركوب سفينة الحرب الأهلية تحت وهم اختصار الطريق إلى التغيير الديمقراطي».

ظل السيد

لم يغب أبوخالد منذ اغتيال كمال جنبلاط عن المشاركة السنوية في الذكرى التي يحييها الحزب التقدمي الاشتراكي في المختارة باستثناء الذكرى 42 وذلك لأسباب صحية منعتهم من ركوب الطريق إلى الجبل الذي أحب، وشارك مقاتلو تنظيمه في الدفاع عنه إبان الحرب الأهلية.

وكان لفتاً للنعي الذي وجهه جنبلاط لابن «بني معروف» إلى كل من أمن وناضل من أجل فلسطين وعروبى لبنان وتطوره الديمقراطي والعلماني. إلى المناضلين اللبنانيين في الحركة الوطنية. أنعي إليكم المناضلين اللبنانيين والعربي والأممي الكبير محسن إبراهيم، خير صديق وخير حليف لكمال جنبلاط. إلى يوم الوفاء. إلى يوم محسن إبراهيم، وهو الذي اعتاد ركوب المخاطر، انطلق على رأس وفد حزبي وشعبي إلى بلدة أنصار للمشاركة في يوم وداع الصديق الصدوق لدار المختارة.

وجاء في نعي منظمة العمل الشيوعي لأمينها العام «تؤكد المنظمة أن إبراهيم لم يكن مجرد قائد عادي في مسيرات كبرى كالتي شهدتها المنطقة العربية في صراعها على امتداد أكثر من سبعين عاماً، كما لم ير في مساراتها ومنعرجاتها ما يستوجب التقديس والتزييه عن النقد، هادفاً بذلك استخلاص الدروس التي تصوب الظل الذي عانتها وتعاينته في مجرى التجارب القاسية». وأضافت «راهن محسن إبراهيم على معركة مع العدو الصهيوني حدد شعاراتها بالتحرير والتوحيد والديموقراطية، معولاً على مسارات تتجاوز انقسامات الحرب وخنادقها التقسيمية بعد أن رأى في

لهذا الواقع المر، انتقد استسهال العنف والانخراط في الحرب الأهلية في لبنان، كما قدم اعتذاراً عن «إباحة البلد للمقاومة الفلسطينية وتحمله ما يفوق طاقته» ما أدى إلى «انشطاره شطرين متقاتلين» كما قال في مراجعته النقدية.

هذا السيد ذو الحضور الخاص ولد في العام 1935 في بلدة أنصار في جنوب لبنان، والتي شهدت أثناء الاجتياح الإسرائيلي إنيشأ أحد أسوأ المعتقلات في ذاكرة المقاومة الوطنية اللبنانية. قبل أن يؤسس أبوخالد «منظمة الاشتراكيين اللبنانيين» في العام 1968 كان قد اختبر ميوله السياسية بعد انضمامه إلى حركة «القوميين العرب». وفي العام 1970 اندمجت منظمة «الاشتراكيين اللبنانيين» مع تنظيم «لبنان الاشتراكي» ليشكلا «منظمة العمل الشيوعي» التي تولت أمانتها العامة.

شارك إبراهيم، الذي جمعته علاقة وطيدة مع نايف حواتمة، الأمين العام للجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ومع عرفات، قائد حركة فتح، في تأسيس الحركة الوطنية اللبنانية إلى جانب أحزاب تقدمية ويسارية أخرى، كالحزب الشيوعي اللبناني والحزب التقدمي الاشتراكي والحزب السوري القومي وحزب البعث، وكان حليفاً وثيقاً للمقاومة الفلسطينية طوال وجوده على الساحة اللبنانية، وخاض إلى جانبها جميع المواجهات التي فرضت عليها خلال الحرب الأهلية عند اجتياح بيروت من قبل الجيش الإسرائيلي أطلق إبراهيم مع حاوي، جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية التي كان لها باع طويل في العمليات التي شنت ضد قوات الاحتلال والعملاء في بيروت والجبل والجنوب خلال الثمانينات، ولم تكن المقاومة الإسلامية التي قادها ولا «حزب الله» قد ولدا بعد.

ومع الإمساك الكامل لنظام الوصاية السورية على لبنان بمفاصل الحياة السياسية في منتصف الثمانينات انحسر دور «أبوخالد» ليغيب تدريجياً عن الساحة السياسية لكنه حافظ على علاقة وثيقة مع وليد جنبلاط الذي كان أخذ دور والده في قيادة العمل الوطني في لبنان. وفي النقد الذاتي لتجربة الحركة الوطنية قال أبوخالد في الذكرى الأربعين لرحيل صديقه ورفيق دربه حاوي إن الحركة الوطنية «في معرض



مراجعة السيد إبراهيم النقدية الفريدة تكشف أن «القضية المركزية»، قضية فلسطين انتزعت تماماً من أصحابها، وتحولت إلى بازار يتحكم به أولياء الأمر في دمشق وطهران. وانطلاقاً من قراءته لهذا الواقع المر، قدم اعتذاراً عن «إباحة لبنان للمقاومة الفلسطينية وتحمله ما يفوق طاقته»



جنبلاط إلى معاهدة السلام الإسرائيلية المصرية عقب محادثات كامب ديفيد إلى الثورة الإيرانية التي قادها الخميني ولاحقاً غزو إسرائيل للبنان ووصول جيش العدو الصهيوني للمرة الأولى إلى إحدى العواصم العربية، وتصفية المقاومة الفلسطينية بمؤامرة دولية -عربية، وصولاً إلى هيمنة سوريا على لبنان، ساهمت كلها في اضمحلال «المقاومة الوطنية اللبنانية» التي ساهم في تأسيسها خصوصاً بعد استئثار «حزب الله» بالمقاومة، ودفع «السيد» إلى الاعتكاف والانزواء باستثناء بعض المحطات «النقدية» التي زادت في «فرادته» على صعيد العمل السياسي في لبنان.

السجن الكبير

ربما كان السيد إبراهيم على حق عندما اختار الانكفاء بعدما شهد مسلسلاً واضحاً وجليلاً لتصفية رموز حركة السيادة والاستقلال وكان أحد ضحاياها صديقه حاوي، والضحية الأخرى «ربيبه» سمير قصير، فقرر الاستكانة والهوء لئلا يكون أحد ضحايا «السجن العربي الكبير» كما كان يصف كمال جنبلاط الأنظمة المتأمر على «القضية» والحرية، أو أن يلحق بالشهداء صديقه فيكون صورة إضافية على جدار التضحيات الممتد طويلاً.

ظل «أبوخالد» كما كان يسميه رفاقه وأصدقاؤه حتى الرمق الأخير من حياته مؤمناً بالحق الفلسطيني، وبضرورة قيام دولة فلسطينية، فأنبرى في توثيق علاقاته بالقيادة الفلسطينية من «الختيار» الرئيس الراحل ياسر عرفات إلى «أبومازن» محمود عباس الرئيس الفلسطيني الحالي الذي نعاها وأمر بتكيس الأعلام الفلسطينية فوق الدوائر الرسمية حداداً على وفاته. غير أنه وبعد المراجعة

النقدية الفريدة التي أجراها، اكتشف أن «القضية المركزية»، قضية فلسطين انتزعت تماماً من أصحابها، وتحولت إلى بازار يتحكم به أولياء الأمر في دمشق وطهران. وانطلاقاً من قراءته



صلاح تabbakh
كاتب لبناني

حين سيقراً هذا المقال، ستعالي على مقربة من قارته، في شارع الحمراء، أو في الضاحية أو الجبل أو في أي مكان من لبنان، أصوات المتظاهرين اللبنانيين وهم يحتجون على التدهور الكبير الذي أصاب لبنان، ليس اقتصادياً وحسب، بل وحتى على المستوى الوطني والإنساني في ظل حكومة اللون الواحد. وبعد سنوات من إحكام النفوذ الإيراني على البلاد. وفي الأسبوع الذي كان يحيي فيه اليسار اللبناني عموماً والمطالبين بالحرية والسيادة والاستقلال خصوصاً الذكرى الخامسة عشرة لاغتيال الصحافي سمير قصير، أعلنت وفاة الأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي والقائد اليساري السابق السيد محسن إبراهيم أحد القادة السياسيين اليساريين البارزين الذين لعبوا دوراً مهماً خلال المواجهات والمعارك الكبرى التي شهدتها المنطقة، بعد عمر مديد ترك خلاله بصمات واضحة على الحركة السياسية في لبنان منذ منتصف القرن الماضي، وبصمات أكثر وضوحاً خلال فترة الحرب الأهلية التي كان يتبوا خلالها السيد إبراهيم منصب الأمين العام للحركة الوطنية اللبنانية. وإذا كان البيان الشهير الذي تلاه من منزل الزعيم الراحل كمال جنبلاط في العام 1982 في عز الحصار الإسرائيلي لبيروت وإلى جانبه صديقه ورفيقه الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني الراحل جورج حاوي وأعلن من خلاله تشكيل جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية «جمول» قد طغى على غيره من المواقف الكثيرة التي تسجل له، فإنه من خلال هذا الديان أمكن القول عن حق بأنه كان «سيد المقاومة» الأول في لبنان.

عائلة مرجعيات

السيد محسن إبراهيم من عائلة من السادة الشيعة متجذرة في جبل عامل جنوب لبنان، برز منها العديد من الفقهاء وعلماء الدين، غير أن السيد محسن الذي تأثر بـ«موجة» القومية العربية بأشهر حياته العامة في «حركة القوميين العرب» في خمسينات القرن الماضي والتي كان السبب الأبرز وراء تأسيسها «القار» لفلسطين، هذا الحلم الذي رغم المطبات والنكسات الكثيرة التي مني بها واختبرها محسن إبراهيم عن كنف، رافقه حتى الممات.

والمطبات التي شهدتها «السيد» من الحرب ضد المقاومة الفلسطينية في الأردن وآخر الستينات، إلى الحرب الأهلية في لبنان، إلى اغتيال كمال